الكتاب الأول
- ٥٧ -

خازنة الماء

شعر

فتحى عبد السميع

المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٢

خازنة الماء

فتحى عبد السميع

مدير التحرير/ منتصر القفاش

إخراج فنى / هشام نوار

التصميم الأساسى للغلاف محيى الدين اللباد + أحمد اللباد
لوحة الغلاف : هشام نوار .

إهداء

إلى أبي
وأمي
وإلى الشاعر الراحل
سيد عبد العاطي

فوق الورقة

نحن الشعراء
أفراس خضراء
لكن الأفق أمام سنابكنا
درقةْ

نحن الشعراء
عشاق فقراء
مسجدنا الليل
نجتمع على سُلّمه كل حنين
ونسمّر فى قبته الحدقةْ
ننتظر مرور النجم الطيب
لنتمتم بالدعوات
ونلقف من كفيه الصدقةْ

نحن الشعراء المنفيين جنوب الوقت
جمر يبزغ من ماء
نلعن كل خراب
ونعيد بناء العالم فوق الورقة

قنا أبريل ١٩٨٩

القسم الأول

١ - غدر

من هرّب معصمها من أسوِرة القلب ؟
لمن غدر يستشرى فى جسدى ؟
ولمن ريحٌ تعصف بمتاريسى ؟
معصمها أنسى وأنيسى .

أتسلل بين المومياوات
وأصعد قدس الأقداس
أفك الأنهار المحبوكة حول قوامى
أنثر أوجاعى حَبًا لحمائمها
وأهيىء للأبدية أقلامى وكراريسى .

طبل وإوز يتصايح
وأنا أستجمع ما فى ذاكرتى
من أفراس
أبدأ زحفا مجنونا نحو امرأةٍ
فرت من أسورة القلب
ململمة من برك الدكنة
كل فوانيسى .

نشرت فى إبداع بعنوان مقاطع من منحوتات الدشناوى

٢ - كيل

الوردة تمرق بين الأنّات مزقزقة
والغصن المنكوب طرحْ .
الوردة تستلُ تمام توهجها
هل طفح الكيل ؟
أخيرا أحتضن الحاراتِ بشوق وفرحْ !
أجراس تتألق فى جيد المشرق
وأنا أجتاز أسارير السنطة
ولطالعة من نهر
تتبختر فى الترتيلات
أعدُ شراكا من قوس قزحْ .
هل طفح الكيل ؟
الكيل طفحْ
والجمر النائم فى الأوصال جَمَحْ .

٣ - ترحال

رمل
وهجير
وعيون متكالبة
ومضارب تعوى .
تلك القارة تشتعل بخطوى .
تلٌّ يتطاول
تلٌّ يذوى .
دهستْ سهوى
سيدةُ الغزلان
وغابتْ فى الصحراء
ظلال تلفُّتها فى أغوارى تحفر
حتى تتفجَّر كل ينابيع الهذيان
وتطفو جدرانى شوقا
أنتهك الترحال بلا ما يحتضن القامة
أو ما يروى .
تلٌّ يتطاول
تلٌّ يذوى .
ما من جهة تنجو من عَدْوِى .

لم تأخذ زينتها عند بزوغ الحرف
ولم تكرم مثواى .
كيف ترفُّ البنت السمراء حوالىّ
أنا موسم زرع القطن
ولا تنزلنى
كى تنتزع قروح الروحِ
وتملأ لمبتها بدماىْ . .
الآن تهبُّ الجدران وتعصف بشظاياى .
ماذا يسعفنى من قاموس الوقت
سوى ظلِّ السنطة والناى .

تلك الجمرة

خذ تلك الجمرة
وافركْ أحداقك فى زخرفها
اقفزْ فى ترتيلات المنحدرين من الهتكِ
وتعويذات الرمزِ
المعن فى تضليل الطلاب
استرجعْ فاتحة الصبوة
وبهاء السفر بلاشىءٍ
غير بكاء الأعماق
على امرأةٍ
تتنزه فى طلعتها أقمار
وأساطير
خذ تلك الجمرة
واقرأ ما يتجمهر أسفل بشرتها
من قصص
وتواريخ
وشرفاتِ تترقب ما يشرقُ من جنبيك
ويفرد سطوتك على أقبية التقويم

خذ تلك الجمرة
وادعك أعضاءك جرحًا
جرحًا
أين الرغبة فى خلخلة الدنيا ؟
أين القَسَمُ على كسر الحُلكةِ ؟
فى أى رمادٍ بات جناحك ؟
منذ متى وعظامك تنساب – مولولة –
بين الأحجارِ ؟
وكيف طويت الرمل على شلالك
واستسلمت بلا حشرجة
لغوايات المحو ؟
خذ تلك الجمرة
وادعك أعضاءك حرقًا
حرقًا
لِمَ كل صباحٍ طَرَقَ نوافذك
ولم تفتح
كل نشيدٍ غادر أوجاعك
واختبأ وراء نشيجٍ
كل الصرخات الناشفة الملقاةِ
على سطح المنزلِ

واخرجْ مجذوبًا

يلبس هفهفة النارِ

وثقة الموتْ

يلهو بمتاريس الطقسِ

ويزهو بفضاء يتهشم تحت خطاهْ

... حاولتُ أن أخطفَ النخلَ
من جبة الريح
لكننى ما وجدت يدا .
وحاولتُ غسل الرمال
ولكننى ما وجدت دما .
وحاولتُ نصب الخيام
على شاطىء الحلم
كانتْ
ولكن على حافة المقصلةْ

ينام الجحيم على حجْرِ ليلى
وليلى
حقول من التين تثمر فى شفتيه
ولؤلؤة من دموع يرجرجها الانتظار
كرجرجة النهد عند انفجار القميص
ينام الجحيم على حجر ليلى
ويشبك فى قرطها إصبعيه
ويجذبه كزناد المسدس

ينفلت الانفجار
ويفرك فى راحتيه النهار.

كما يبعد الفأس بين الأديم
وبين الشجر

كما يبعد السهم بين الظمىء
وكوب على شفتيه
أُبعدتُ عنها
ووجّهنى السوط شطر التغرُّب
صرتُ
أوزع لونى على كل بيت
وأنثر حلمى على كل كرم
وأجلس فى ظل نجم من التوق
أحصى سنين احتضارى

تجئ الطيور
التى صغتها فى الفؤاد
وسرّحتها من جبينى
تنبئنى
أن ليلى على حافة الموت عاريةٌ
تغزل اسمى خيوطا

وتنسج منها نداء
تشيّعه فى جيوب الشفق
تقول الطيور
هى الآن
فوق رموش الرواح
تلوك الغناء الحزين
وتبنى قباب الترقب
فوق جناح المدى
تقول الطيور ....
....
....
يدوّى الصدى فى دمى
ويبذر فى القلب حَبًّ التوهج
ألبس جلدى
وأقفز من فوق غصن الثمالة والانطواء
ألملمنى من مرايا الجنون
ومن فوق عشب الفصول
وأدخل فى البحر
أخطط فوق الهدير اشتهائى
وأرسم خارطةً للقاء .

قنا مارس ١٩٨٨

١

كزبرة فى شكل العرى
تتسلل من خلف لحاء الصيف
وترشرش فوق حصير الموت صهيلا
وعبيرا زنجيا
فيفاجئها السهم
تتفجر قمرا
وشظايا

٢

فى قاع الصمت
حيث القيد أمير
والأحلام زئير محتضر
ها أنتَ تُزَفُّ إلى الغربة
تجلس فى رئة العطن وحيدا

كتبت هذه القصيدة أثناء وجود مانديلا فى السجن ونشرت بمجلة إبداع عدد مارس ٩٠)

مثل قطار هَرِمٍ
تتوضأ بالحزن
تصلى فوق السكينْ
وتناجى نجما
يتشكل فى رحم الطين

٣

عنزاتك تحت الشفق يلكن الجوع
عن كفيك يفتشن
ويعرفن - كأحبابك - أنك خبز / دفء / سيف
قُمْ
الشجر الهمجى يلوّح ببرائته للطير
يبث هواجسة لصفيِّكَ
قُمْ
أطلق بيرقك الجامح فى ذاكرة الأرض
احفر فى الغيم شموخك
حلِّق بطيورك فوق سماء البوح
فجر فى أمعاء الصخر نشيدك
غرِّدْ
للظل المتصدع
للعشب المتوجع

للقمر المترمد فوق سطوح الحلمْ
قُمْ
وادفع قنديلك فى حلق الديجو ر
سرِّح من بين ضلوع الظلمة شمسك
خيطًا خيطا
وازرع فى رئة العالم عشا لهديلك

رجل
يلبس
شجرة سنط
يحمل نارا فى جفنيه
ويحمل قبرا
ينتعل فمى
ويشيّد جدرانا من حُمْرةِ نابيْه
يتهيأ لى
فأقدم صمتى قربانا كى لا يلضمنى
فى مخلبه
أتقرفص فى زاوية
مثل يتيم جرحته بهرجة العيد
وأنحت أمنيتى تمثالا
أحلم بلقاء حبيبى
فى خدر قرنفلة
حيث الأفق كرات
من زقزقة الطير

وحيث الأرض لجين
من تصفيق العشب
وكركرة الليمون
أحلم
أحلم
فيكهربني الرجل السنطة
كى ألقى ذاكرتى
وأقدم حلمى قربانا آخر

موج مربوط فى قرن القلب
يقرقع
وحروف خضراء
فقدت خيط توحدها
تأخذ شكل النمل
وتسعى فى فلك غبشى
تبحث عن قنديل
يتخلق فى وجه امرأة
عن رمل يرقب فى وجل هودجها
إنى ملح يتفجر فى تنور العجز
ترى

أى ذراع سيعلق حنجرتى فى الريح ؟
وأى لسان سيدل الرمل علىّ ؟

وجه
يتدلى
من سقف دماغى
ويسمّر فى ذاكرتى أصداء
الرجل السنطة يستعجل قربانى
صوت نورانى يمطر فى جسدى
غزلان حقيقته
ويوحدنى فى الوهج
فأرشق حنجرتى
أرشق حنجرتى
فتموج الجدران كثعبان باغته السهم
وتنفرط جمارا
أتمطى
تنطلق الديكة من أوردتى
أفراسا
تنبثق الأنجم من بين حوافرها
تصعد محراث الفجر

وتستصلح ملكوتا
فأزاحم كتف
الغيم بكتفى
وألوح الشمس

قنا سبتمبر ١٩٨٩

القسم الثانى

حرفى

قبل أن يبلغ الشفتين
الكلامُ
يصير رمادا وتنفلق الحنجرةْ .
قبل أن أرسم الشمس
فى جبهة الأفق
تجتاحنى بومة
وتصادرنى مقبرهْ .
كيف أجلو عن الروح هذا اليباب
وأبعث أجراسى النافقهْ ؟
كيف أجتاز حدوتة رشقتْ بالعفاريت
غصنا بحجم المدى
مثقلا بالجماجم والأضرحة ؟
كيف أُعْمِل حرفى فى قرية
والخطى فى جدائلها لا تقود
إلى وردة
أو قمرْ ؟

فى مهب الظلام

من جنوب الوجيعة
أحمل ترتيلة وأجيءْ
أصعد الفلك الورقى
وأرسم ولولة القُبَّرات
وأحترف السفر المتواصل
فى دندنات العيون
أحرِّض تعويذتى كى تمر بإبريقها
بين أوردة الفقراء
وتحشد خلف بيارقها
كل نبت جرىءْ .
من جنوب الفجيعة
أحمل زلزلة وأجيءْ .
أمنح الرعد محبرتى
ينبغى أن ترفرف نرجسة فى مهب الظلام
وأن يحرس القلب ما يحتوى
ينبغى يا دمى أن تضىءْ .

اندفاع

كيف لى أن أكون
مثلما أشتهى
مثلما قالت الساحرات لأمى عند
اختناق القطا واحتراق الجرونْ ؟
أيا هذا السكونْ
إننى معول من دموع القرى
غنوة تقرع المستحيل
أدفع الوقت مسترشدا بالجروح
ومحتميا بالجنونْ .
مثلما أشتهى
ينبغى أن أكون .

قنا أبريل ١٩٨٨

سكير
والعتمة قدحى
الطرق إمرأة تتهجانى
والأرصفة وسائد تومىء لى
سكير
أو كالسكير
أترنح هَمّا
وأحيط الأشياء بسخطى
أدخل بيتى
وأنا أمسح قطِرات الخيبة عن جبهتى
بكمٍّ الحزنْ
أجفل حين أحس العقرب يتكىء
على مفتاح المصباح
وحين أحس بسيدة تتبع خطواتى
أتفتت رعبا

– كنتُ على الحانات ودور البغى

بأزهارِكِ أسعى

– وزعتَ الأزهار

– ولا زهرة

كان الناس يردون بضاعتيَ المجانية

بالتقريع

لماذا ينفر من قشتى الغرقى ؟

– يالك من تلميذ خائب

" إنهالت ضربًا بالمسطرة

على القلم المضفور

بأطراف الروح

انتبهتْ "

– أين الأزهار إذن ؟

– لصقت بنعال الجند

لم أسكت

مزقت سياطهمُ على جلدى

– لاحد لخيبتك وتغريباتك

فلتخرج

مذمومًا

مدحورًا

ثمة أسلاك تتقطع فى رأسى

ثمة أشجار تتهاوى

أبنية تنهار

ثمة نعش يخرج من صدرى

قنا يناير ١٩٨٨

سفر

فى نبرتى
محارب بلا كنانة
وعازف بلا وترْ
فى نبرتى
يحلق الهباء والقنوطْ
لم ينزل المطرْ
هل هذه نهاية الحنين
واكتمالات السقوطْ
... ...
ليت الفتى يمزق الخيوطْ
ليت الفتى سفرْ

قمر

الشمس ودعت ربوعنا
والأسود انفجرْ

من أين يخطر الخطرْ
متوجا بالصهد والفحيح ؟
وكيف يملأ العيون بالرماد
والصدو ر بالحفرْ ؟
لو أننى ألوح خلف محنة الشجرْ
قرصا من الخرافة الخضراء
والأنغام والصورْ
لو أننى قمرْ
فى فضتى تفتش البنات عن فرسانهن
ترتوى هلاوس المعذبين
تسبح البيوت
والجرون
واشتعالات السَّمَرْ
لو أننى قمرْ

حريق

الحبل حول صرختى يضيقْ
والقش ربوة وراء ربوة يمتد
كل ما أرى قش

يجرِّح العيون
يحبس الشهيقْ
كل المواسم استوت تحت الخراب
والغراب صار سيد الجهات
لا بشارة تلوح
لا بريقْ
لو أننى حريقْ
أفر فى الحناجر المنكسه
فى قبضتى تذوب أسطح الديارْ
يطقطق النعاس
– والدموع اليابسهْ .
لو أننى حريقْ
تغادر النجوع صمتها
ويسكت النعيقْ

وحل يعربد فى الدروب
ويدهم الجدران
يصعد فاتكًا بفضائك المهجور
يلتهم البهاء
ملونًا إيوان شمسك بالعسسْ
ماذا تُكِن وتلتمسْ
الشؤم يحتكر المواسم
والفجيعة بامتثالك تزدهر
غيبت غيمك وانسللت مغادرًا
ضيعت رايات النخيل
وصبوة الأجراس
ضيعت الخريطة والفَرَسْ

يا غرة العشاق
كم ضَخَّمت فى بأس المحال
والعشق نيشان التحرش بالرعود
العشق ترميم القمر

باغت غيابك بالسؤال
حدق تر
مرساك فى شبق النزال
فاغرس لهيب القلب فى قش البراح
وانزع مقامك من غوايات الزوالْ

ليلى هناك
وأنت تجتر التواريخ القديمة
تغمس القلب - اندحارًا -
فى زلال الذكريات
مازلت تعبث بالأصابع فى الرمال
وجوقة الغربان حولك تنشدُ
تشكو عذابك للطلول
تهيم عجبًا بالنحول
وصوت ليلى فى إنائك يبردُ
مازلت ترقب - مثل ليلى - فارسًا
يحنو عليك
ويزرع البيداء أحصنةً
يصادر صولجان المستحيل

ياقيس كم بعثرتَ حلقك فوق
أعتاب السراب
مازلت تنتظر المخلص
والمخلص فى عروقك يرقدُ

ماذا تدون بسم عشقكِ
فوق أضرحة الهديل ؟
ماذا تدون
هل خطوطك تبعث الفرح القتيلْ ؟

راجع جنونك أنت فى قدس المحبة
تلعبُ
لو أن عشقك ناصع
فلم الأصابع تهرب ؟
تلقى إلى الصدأ الحسام
تنام فى فيىء الكلام وتندبُ
القلب يكذب يا رهين الا نكسار
القلب يكذبُ
ما أشر نبات قلب يكذبُ

راجع جنونك
واحترسْ
هذيانك المحموم أقنعة
وجمرك بارد
باغت غيابك بالسؤال
حدق تر
وشم الحبيبة فى فؤادك ينطمسْ
راجع جنونك واحترس
ما عادت الأطلال بالبوح المخنث تأتنس

قنا ديسمبر ١٩٨٧

القسم الثالث

اليوم بزوغ خير من ألف بزوغ
هل تتخلى ؟
مامن أصداء تتردد لخطوطك
بين السحنات البازلتية
أين هدير الحبر وقرقعة الريشة ؟
أين الصندوق الممتلىء بأرجاء
وبروج تتقافز ؟
تلك البازغة تريدك
كنت أهرول حول تخوم متخثرة
كالعادة منذ أستاجرتَ دمى
أرعى فى أعشاب القيظ تماثيلك
لاح الكوثر مرميًا
مثل الشال على صدر امرأة
برق ممشوق فى قبضة نوبى يتقدمها
والهودج يتهادى
فوق سنام من مرجان
وأباطرة مخلوعين

أنا أول عصفور أبصرها
تبزغ متسربلة بنشيد أزرق
تطأ الأنات السكنَية
يطفر من أقواس مفاتنها طير وصباحات
كنت مراقًا حول الأوجاع العشوائية
أزرع تحريضًا
وأهش بأحرفك على صهد الأفئدة
صرخت :
أخيرًا خازنة الماء على اليابسة
أنا أول درويش يفرك
بسمتها فوق المبخرة
تصير الرائحة عكاكيز
تحلق فى جوف الحارات
وتقرع كل شغاف
هاهى خازنة الماء
توارب أيقونتها
تتفقد هلوسة الشعبيين
لمن ترمى خاتمها ؟
تخطر فق كثيب
من أعناق الظمأى

أعناق متعرجة تتسابق متباهية بلوادغها
ووصيفات يتغامزن :
البازغة تريدك
فاطرح أياتك
كم كنت تنقب عن شرخ
يرفعك إلى مخدعها
بعد قليل تنحسر القرحة عن مصباحك
تنزل عن كاهلك الوردة بيتًا
بيتًا
تمتزج عظامك بحرير
ويُتّوج دمك بأعراس
بعد قليل يسقط ميثاق جنّدنى فى لوثتك
أخيرًا ستفارق أعضائى
يا ملك المخبولين
ويحتفل رواق الأهل بعودة أنفاسى
تطبخ أمى الزغرودة
تكفى شعبًا
يدنو موكب خازنة الماء بنكهته المرجانية
هل تترك إشراقتها تجتازك هدرا ؟
كم كنت تجنّد أسرابًا لتطلعك ؟

يسممك أزيز الفقراء
وتُشَّباكُك ليس سوى فخ
جاوز سن اليأس
وما انقبض على صيد

ورم يزدهر بوقفتك
حلوق تتخبط فى سنارات الظمأ
وبئر يابسة
تلتف بسقف البيت
تحيط الروح بأنفاس شائكة
وتُرصّع مرمرها بكوابيس
لماذا ترتبك كجبل يفشل فى إخفاء ترهله ؟
مامن جيش يبدأ من إصبعك تَدَفُّقَه
أين التحليق المشغوف بكل منمنمة ؟
أين الشبق المعتاد على تنويم الأفق
وسلب هراوته ؟
أين نواقيسك ودبيب زنابقها ؟
رأسك محشور فى ثقب
عينك جاحظة
وفراغ أسود يقطر منها

حشد يهدر :

– صبرًا آل الحلم

– متى

سنسير وراء بلابله

حتى مصرعنا

– لا يكترث بخطو الخازنة

– عبيط

– هلى يتخلى ؟

– سيهاجم

– أنذكّرُهُ برهان الفقراء على موسمه

حشد يهدر ويلّوح بهياكله

سيسيل هتاف خلف بيارقك

ويطمر ما يتحرش هاوية

هاوية

فاطرح آياتك

تلقف كل أصم يتكىء على رئة

كل ضمير وارب زهرته لعدو

كل نهار يكشف عورته لحريمك

هل تتفرق

واللحظة تدعوك لتجدل أسودها ؟

تلك الخازنة بيدها عنق الطقس
تأمّلْ كيف يكون قوام القيلولة لدنا
وظليلا بضا
قل لشقوقك أن تصطف وترفع مشعلها
تتطلع خازنة الماء
ويوشك أن يتجاوز شُبّاكَكَ موكبها

لم تسعف الشطآنُ صرختها
ولم يسعف صراخك قاربٌ
... ...
نار مدنسة تحوّم بالغزالة
والغزالة ثورة العشب المُدَاهم
فورة الصبح
المتاهه والدليل

يهوى عليكَ الملح من كل الجهات
ظهيرة سوداء تنهش صولجانك
صرصر نزعتْ يديك عن الكواهل
صرصر هبّتْ تقوض قبلة
كم كنت تَعْمُرُها
تجدف فى مذاق حضورها
تحمى طوالعها
تزف لها طقوس المتعبينْ

هجر الحمام بروج روحكَ
وانحنى ظل النشيد
أنت المكلف باحتواء الدُور
والأفق المجاور
فى جبينك تمرح الأقمار
تلعب بالمواسم
تصعد الغيطان حابية على كتفيك
قلبك زهرة الإيقاع
فى عنق الغزالة جلجل

أنت المكلف باحتمال الرزء
والإقلاع من جب الفجيعة
والرحيل وراء أسراب الصدى
أتظل معتصما بصومعة الذهول
تراقب الأعشاش
– طافية على سطح الظهيرة –
تلفظ الأرحام أشلاء
نساء ينهمرن من النعاس
بأدمع ممزوجة بالكحل
يلمزن :

القبيلة توجتك عمامة الأحلام ..
أعطتك الحسام
.. وشفرة الأسوار
أعطتك السرائر
.. والربابة
كم خرجت بنا من الأرزاء
مرفوع الفؤاد

يهوى عليكَ الملح من كل الجهات
فكيف تجتنب انتحاب الطين
تخترق النهار الصلب
لم تبصر جبينك
حين أريكت المرايا
لم تجد سورا يرد الذئب عن أسمائك
الصحراء تنتفخ
الغزالة تختفى بين السموات الدواكن
والغزالة لوثة البلد المجنح
وشوشات الأرض للكون
اقتناص المستحيل

وخرجتَ تمتشق البراءة
واشتهاء الناس للروح المضيء
مدججا بالنور
تحرسك الزنابق والطيور
خرجت تمحو آية
قلت : الغزالة آيتى
يوم لها
وبقية الأسبوع للأعراس تسبح
فى ظلال الأمسيات
خرجت مشغوفا
على كل البيوت تدور
تنتزع الشياطين المذابة فى الجرار
تفك أزرار المَخادع
تدهن الأغوار بالضوء الملون
تقتفى هرب الكوابيس العجائز
تستعيد بكارة الأنفاس
تجمع ما تناثر فى مناقير الخريف
خرجتَ
لكن الربوع أبت صباحك
والخيانة جندلت يوم الغزالة

أى حقد دس فى سَمَر الدفوف فجيعة
و رماك مطعونا
على صخر الوجوه الصفر
تنهشك الظهيرة ؟
كيف ترفع لعنة حقت
وتدفع ما تيسر من هلاك
ترتدى أسطو رة
وتسل من أَجَل القبيلة برعما

قنا ديسمبر ١٩٨٩

عصف مأكول
أضرحة تتزاحم فى حنجرتى
حجر مأهول بصراخ
وفضاء مكتظ بجماهير وتعويذات
تعوى ذات :
كيف تغادر تلك البلدة
جغرفيتها زاهية الصمت
الصبح
لمن صار بياض مناسكه
ولمن صار عنان التأويل ؟
أدخنة تقتلع المشهد من حدقات الفقهاء
عجوز يستل ملامحه
يتصبب إصرارا
ويمرغ تعويذته فى فوح الندابات
لم يربض قناص
بين الزلزال وبين منازلنا

(رحل رجال الإنقاذ
ومازال أنين
ينبعث من الأنقاض)
حين دخلنا عودتنا
كانت مقتنيات الروح مبعثرة
وبخار يتصاعد من أفئدة
كل الأشياء تفر إلى جبل
غير تراتيل عجوز يستل
ملامحه من مرآة
ويحركني :
– من يجذب طرف الصبوة ؟
من يتحسس مزق الأوتار ؟
أما من مخبول يعبث ببلابلنا الموقوتة ؟
لا أتحرك :
– ما الجمرة غير تلفتك إلى
وما البرية غير حنينك
أشجاري تفلت من أسركَ
هل قرت بي يابسة حتى يجرفني تيارك ؟

زلزال يستوفى سطوته
وعجوز يستل ملامحه من مرآة تتشظى
ينحدر إلى موال
كى يسترجع قامته
ويهيج فى الأنفس ما يمنحها السلوان
يحدق فى :
أما من سخط ينفتح على مصراعيه ؟
أما من أوردة تتشبث بدم سيال ؟
ظلمات تتدحرج
وتسد على برق كل مسالكه
تلمع فى ذاكرة المحاة سلالات
حين خرجنا من عدودتنا
كانت مقتنيات الروح وراء برابرة تتقافز
وصفير يجتاز القامات
وحدك
لا تعبأ بخراب يتبختر فى أنات الدور
تباغت سكرتنا ممشوق الأنفاس
عهود ومواثيق تبادر لإقامتها مع كل جماد
أوتَعبر تلك الرقصة بذبيح

قنوات الظلموت ؟

وحدك
أيَّة موسيقى تستبسل وتصافحك براعمها ؟
ما الأبدية غير جناحيك
المضمومين على خارطة ؟
أى رهان يحتكر حساباتك ؟
أى نفير يتخلق بين ترائبك ؟
وأى بكاء يترك فى عينيكَ صليلاً
وفتوحات ؟
فرت من سترتك الأنجم حاملة كل مواقيتك
كيف يوتر فانوسك
ما لا قِبَل لشمس بدوامسه ؟
لو تجفل من دهليز اللحظة
بعناكبه و روائحه الفتاكة
كانت صخرتك مهلهلة
حين وقفت على الجرف
وظهرك للفُرّار
تحدق فى عضلاتى
وأنا لا أهمس فى وجهك :

يا قرص
مراسم دفنى تنتظر مغيبك
أم أن مغيبك
ينتظر مراسم دفنى ؟

أو أهمس :

– يا سيد أرجائى
ضاقت كل ينابيعى بطلاسمك
ولا رغبة لى فى أن أتملص من نورك
أنت نشيد يجتاز كمائن لا حصر لها
ويحط على شجنى بحرا
لكن رياحا تفتح بى فجوات
فأرى رأسك مبولة الدنيا
والكرة الرسمية لجميع ملاعبها
لا أملك حرسا لممالكك
ولا صدرى يتسع لتهويماتك
لو تفتح لجعارين النسيان تجاعيدك
لو ترمى أعضاءك فوق حبيبات السهو
لا تحتمل بقاياى تتبع شيخوختك
المتفجرة بحمم وغوايات

لو ترفع عينيك
هشيم ومضيك جرّح رئتىّ
ارفع عينيك
بقاياى الرخوة لا تحتمل
بقاياى الرخوة لا تحتمل زفيرًا
فارفع عينيك
سأختنق

إلى ذكرى حكايات خالي عن الحرب

مفتتح

أعرف أن اللحظةَ قاسيةٌ
أن نصالاً لا حصر لها تكبر في أعضائي
أن جرادًا فولاذيا
ينقض من الأركان الأربعة
ولا يترك بين الجنبين
سنابل أو قطنًا .
أعرف أن اللحظة قاسية
والريحَ معاندةٌ
لكني أعرف أيضًا أني
أول من سار مع الموت
على جسر الأبدية
مثل حبيبين
وأول من حفر على جذع الوقت
فضاء وعصافير

وأول من بدأ التقويم
وآخرٌ من يفنى .

فى جسدى عضوٌ ما
يحتاج إلى وخزةِ دبوسٍ
كى يتحرك جنزير فى الروح
ويطحن تلك الغيبوبة
طحنا .

اللحظة قاسية
أعرفُ
لكن أحتاج إلى وخزة دبوس ما
كى أعرف كيف أغيّب فى النيل يدىّ
فتخرج زلزالا
كى أعرف كيف أرص الحزن جوار الحزن
وأنسج لحنا

1

الطائرات تمر فوق رؤوسنا
تمضى إلى شرق القناة

تعلو هتافات الجنود
وتغسل الصحراء بالتهليل
ماذا ؟
هل سنعبر ؟
لا أصدق ما أراه
القشعريرة تملأ الأعضاء
أرقص مثل مخبول
وأسجد للإله

2

جاء الأمر
أخيرًا ينفتح الشريان
على ظمأ الأرض
وتزأر فى كبد الوقت
جنازير الدبابةْ
جاء الأمر
أخيرًا أبصر ما فى هذا الدرع الضيق
من دفء

ورحابهْ
أتحسس ما فى جسدى
من شهب
ومسلات
أتذكر شجر الجميز أخيرًا
دون النظر إلى قدمىّ
أخيرًا أتذكر كل الأحباب
بلا ألم
وكآبهْ
جاء الأمر كوخزة دوبس
ها نرفع فزلاج الطوفان
وننزع ما فى حلق الصبوة
من شوك
ومرارات
نصنع أفقًا لزغاريد النسوة فى الشرفات
وخبزًا يكفى مليون ربابهْ .

3

أجتازُ مرارت الروح
وأسبح فى ماء مغلىٌّ .
جسدى لا يصلح المحو
وما من متراسٍ لا ينهار
أمام حوافر عاصفةٍ
تتدافع من جنبىّ
أنفضُ فى أحداق الحلكة
أجولةَ النورِ
ولا أكترث بما ينهال
من البارود علىّ .
أجتازُ مرارت الروح
ولن أرجعَ
حتى يرضى تاريخُ الجميز
وأملأ بزغاريد الرمل يدىّ .

4

أطنانٌ متفجرة فوق المعبر تنهال * ثعابين الفولاذ تصارع فى الجو طيور الفولاذ * مواضعُ تتفجرُ ما إن تلمسها أو تتركها الأقدام الراكضة * شظايا لا حصر لها تنغل فى أحشاء الطقس * غيومٌ تحت الأرجل تمطرُ أشلاءً * أفئدةٌ تنطلق مزغردةً من فوهة المدفع * داناتٌ سقطتْ خلف الأهداف تعض أناملَها * جندى يتماسك حتى يمتلىء بأكبر قدر من أسنان الرشاش * فدائى يتمدد تحت الدبابة كى يطعَنها فى سرتها * إبريق سرِّى يتنَّقل بين حلوق المصريين * خرافات وأساطير تفرُ وقد شبَّت فى موسمها النار * دماءٌ فوق الرمل تناضل كل تتلاقى بدماء أخرى * جندى يتذكر بنتَ الجيران ويبتسمُ قليلا قبل تهشم صدغيهِ * التكبيرةُ برقٌ يقذف مثل الهلب على الشاطىء * أرواح المقتولين بكرباج - لحظة حفر المجرى - تتجسد قطنًا وعكاكيز * نشيدٌ يحمل مجروحين ويعبرُ *

5

الله أكبر

تملأ الدنيا

مدد يا سيدى عبد الرحيمْ .

اليوم ألمس نفخةَ الإشراق

أشرب خمرة أشهى من العسل المصفى

بينما أعدو على جسر الجحيمْ .

اليوم أدخلُ فى صلاة

لا يصحُ وضوءهُا دون الدماء

ولا يصح سجودها إلا على قبر الغريمْ .

الله أكبر

تعصر الدنيا

مدد يا سيدى عبد الرحيمْ .

الفهرس

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٢٠٠٢/٩٠٥١